تتمة محاضرة صاحب الاخاء .

في جمعية الشبان المسيحية بالقدس

أما مبادؤه الدينية فانه يعتقد في الاناجيل الاربعة فقط كما سبق القول . ولكنه لا يعتقد بكل ماورد فيها بل يعتقد بالقسم التعليمي اعتقاداً شديداً راسخاً ويقول : إن تعاليم الانجيل اذا سار الناس بموجبها ينتشر ملكوت الله في الأرض ويصبح الناس في اخاء ، وقد أورد في روايته البعث بعض المبادىء الدينية نقتطف منها المبادىء الخمسة الآتية :

المبدأ الأول — أن الانسان لا يجب عليه فقط أن لا يقتل أخاه الانسان بل يجب أيضاً أن لا يغضب منه ولا يشكوه ولا يحتقره . واذا خاصم انساناً فيجب عليه أن يصالحه قبل أن يقدم قرباناً لله أي قبل أن يتحد مع الله بالصلاة القلبية

المبدأ الثاني — أن الانسان لا يجب عليه فقط أن لا يستسلم الى شهواته وأن لا يدنس جمال المرأة بجعلها آلة للذته الخشنة بل يجب عليه ايضاً اذا تزوج بامرأة أن لا ينفصل عنها مدة حياته

المبدأ الثالث — أنه يجب على الانسان أن لا يحلف بأنه يصنع كذا . أو يجب كذا فانه لا يملك نفسه ولا أي شيء في هذا الوجود

المبدأ الرابع — أن الانسان لا يجب عليه فقط أن لا يطلب عقاب العين بالعين والسن بالسن . بل يجب عليه اذا ضربوه على خده أن يدير لهم الآخر وأن يصفح عن مهينه ويحتمل الاهانة بصبر جميل وأن لا يرفض شيئاً مما يطلبه منه البشر اخوته

المبدأ الخامس — أن الانسان لا يجب عليه أن لا يبغض أعداءه ولا يقاومهم بل يجب عليه أن يحبهم ويساعدهم ويخدمهم .

قلت فيما تقدم أن الفيلسوف أعجب كثيراً بفلسفة سبنسر وماركس وغيرهما من الفلاسفة الاشتراكيين الذين أذاعوا مبادئهم على الملا ولكنه بعد امعان الروية

رأى أنهم قالوا ولم يفعلوا فعزم أن ينفذ بنفسه مايقوله ويذيعه بين الناس من الافكار الجديدة والمباديء العامة . رأى أن الانسان لا يكون انساناً بجميع معاني الكلمة الا اذا تجرد عن زخارف هذه الدنيا الفانية وملاهيها الخلابة الفتانة ورأى أن الاعمال الصالحة وانكار النفس والتضحية تدني الانسان من السعادتين الدنيوية والأخروية وكان هو نفسه مثالا صحيحاً لانكار النفس وخدمة الانسانية والسعي لابلاغها قمة الكمال ـ ذلك الكمال الذي لم يستطع الناس فهمه لأنهم من أهل هذه الدنيا الفانية ولأن نفوسهم اشربت بالأنانية والطمع والأثرة والعظمة . ولا يفهم تعاليم تولستوي السابقة الا أولئك الذين تجردت نفوسهم عن حب العالم الباطل

زهد الفيلسوف عن هذه الدنيا وأخذ يرتدي ملابس الفلاحين الروس وجعل يحرث الأرض بنفسه ويستغلها كما جعل يساعد الفلاحين في حراثة الأرض وحصاد مزروعاتها ولم يقف عند هذا الحد بل أنه جعل يخيط حذاءه وملابسه بيده متخذاً النعل من جلود الحيوانات والكتان من حاصلات أرضه

وأهم عمل قام به تولستوي في حياته أنه وزع جميع اراضيه على الفلاحين وترك لنفسه قطعة أرض يعيش من ريعها اسوة بهم ولما أراد تنفيذ فكرته جمع الفلاحين وجلس معهم وأخذ يشرح لهم طريقة توزيع الارض عليهم وطريقة استغلالها ولكن أولئك الفلاحين السذج الذين رزحوا تحت نير استعباد الاشراف لم يفقهوا كلام الفيلسوف وظهرت على وجوههم سمات البلد والذهول . فقال لهم الفيلسوف موضحاً إني أعطي لكل واحد منكم قطعة أرض يدفع ثمنها اقساطاً صغيرة متباعدة الأجل للمصرف الزراعي الذي سأنشئه وسط هذه الاراضي والاموال التي تتجمع في هذا البنك تكون لكم أي أننا ندفع منها اعانات لكل فلاح ينكب بموت ابقاره أو تحدث لمزروعاته آفة زراعية . فلما فهموا قوله هجموا عليه يقبلون يديه ولكنه حال بينهم وبين ذلك وقال لهم : يجب علينا جميعاً أن نعيش كأسرة واحدة وأن نساعد بعضنا بعضاً وأن نبتعد عن كل خصام ونزاع يجران الى القضاء أو غيره وسأكون لكم قدوة فأني من الآن فصاعداً سأحرث الارض وأزرعها وأحصد الحاصلات وأساعد كل واحد منكم يحتاج الى المساعدة

وبعد هذا اسرد على مسامعكم الكريمة شذرات من أقوال هذا الفيلسوف العظيم :

قال : أما سبب زيادة الشقاء ووقوع الجرائم فهي أن كل انسان في هذا العالم يهتم بنفسه ويسعى لصالحه الخاص بدون أن ينظر الى أخيه في الانسانية مهما كانت حالته . فلو اهتم الاغنياء وكبار الناس وألفوا جمعيات وأنشأوا المعامل وحشدوا للعمل فيها المتشردين وذوي الفاقة لانقطعت اللصوصية واللصوص عن وجه الأرض . لانهم يخلدون الى السكينة والانصباب على العمل . واذا بحثنا عن اللصوص وقطاع الطرق نرى أن سبب اندفاعهم الى اقلاق راحة الناس وسلبها هو الاحتياج . فعدم اهتمام الاغنياء والحكومة بالفقراء وتركهم وشأنهم يدخلون الحانات وبيوت الفساد والرذيلة لقلة العمل . والحكومة اذا تسنى لها وقوع أحد المجرمين في قبضة يدها تقوده الى المحاكمة وتزجه في غياهب السجون مع أولئك المتكودي الحظ الذين حرمتهم الحرية وعلمتهم البطالة والفساد وقادتهم الى الرذيلة والشر : وهي أي الحكومة تظن أنها بزجها المجرمين في السجن تقوم بواجبها نحو الهيئة الاجتماعية غير عالمة بأنها تقترف جريمة لا تقتفر مع أخيها في الانسانية الذي قادته الى السقوط وكان في وسعها أن تخلصه من الحالة التي آل اليها أمره لان السجون لاتؤثر في حالة الناس بل تزيد في تعاستهم . والهيئة الاجتماعية ليست قائمة الآن بسطوة القضاء وقوة المحاكم بل لأن الناس لا يزالون يحبون بعضهم بعضاً ويشفقون على بعض

وقال يصف الشرور : أن الفلاح الذي يفلح أرض غيره ويبتاع ضروريات الحياة بالثمن الذي يطلب منه لا يستطيع أبداً أن يكون غنياً مهما كان مجتهداً مقتصداً وأما الرجل المبذر الذي يتسرب في مناصب الحكومة أو ينال الحظوة لدى أربابها ويصير مرابياً أو صاحب معمل أو مصرف أو تاجر خمر أو يقتني بيتاً للومسات فهذا ينال الغنى من أقرب طريق . وأمثلة ذلك كثيرة حولنا

ثم قال : علام نرى الرجال الاقوياء الماهرين المعتادين على التعب وهم الفريق الاكبر من بني البشر يخضعون لأناس ضعفاء الابدان — لرجال أخناث أو شيوخ عجزة . لماذا نرى الاقوياء يتعبون لهؤلاء الضعفاء . ؟ أن الحق الذي يمتلك به الغني

الارض ويجني ثمار مايتعب به غيره لا ينطبق على مبدأ من مبادىء العدل والانصاف وما هو الا اغتصاب تؤيده القوة الحربية

وقال عن أخلاق وأطوار الناس : أن أفكار الناس كلها متفقة على أن الجمال صفة تغطي كل قبائح ونقائص المرأة . فالقادة الفنانة اذا حدثت خرافة أو حماقة يقبلها السامعون بكل ارتياح ويعدون تلك الحماقة نبالة زائدة والخشونة رقة وظرفاً . واذا اقترفت عملا مستهجناً فانه يظهر لحبيبها منتهى الظرف والاداب والكياسة .

وقال عن الامهات : أن جميع الامهات يعلمن تمام العلم فساد سيرة الرجال ولكنهن يتظاهرن أمام بناتهن بأنهن يعتقدن تمام الاعتقاد بطهارة وعفة الرجال وينصرفن بعكس ذلك الاعتقاد الكاذب ويعرفن بأية سنارة يصدن الرجال لهن ولبناتهن . إن قادة المرأة محصورة في ولادة الاولاد وارضاعهم وتربيتهم وكلما أحسنت وظيفتها في ذلك كانت الفائدة أعظم . وهي لا تحسنها تمام الاحسان الا اذا أحست عند تلك التربية أنها تعد لمستقبل الهيئة الاجتماعية خدمة نافعين .

وفي اعتقادي أن المرأة الفاضلة هي التي تبعد عن مفاسد هذا الكون وتزهد في العالم وتحصر قوتها في أحكام مافرض عليها لاولادها أجنة واطفالا وصبية تغرس في نفوسهم بذور الفضائل ليشبوا على ماتعلموه ويفيدوا أخواتهم في المجتمع الانساني افادة لا تقوّم بثمن

ولكي تحسن القيام بهذا الواجب لا يلزم لها على رأيي الاندراج في سلك المدارس العالية بل حسبها أن تحسن القراءة والكتابة لتتمكن من مطالعة كتب الدين والآداب التي تنير النفس وتزجرها عن ارتكاب الآثام

وقال في الحب والزواج : إن دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات . أنه قد يكون حب ولكن الى وقت قصير جداً . ثم لا يدوم الا في الروايات فقط . وأما بين النساس فعديم الاستقرار في قلبين معاً . وكل رجل متزوجاً كان أو غير متزوج اذا اجتازت به غادة فتانة فأكثر ما يكون منه أن يوجه اليها التفاته . وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغال بعد ذلك في سبيل الوصول اليها

إن الزواج أصبح في عصرنا هذا محض غش وخداع ولكنه لا يزال موجوداً

عند أولئك الذين يرون فيه سراً من أسرار الدين كالمسلمين والهنود والصينيين

الزوجان عندنا يخدعان الناس بأنهما يعيشان معاً في ارتباط عائلي حقيقي بالزواج يظهر كذلك أمرهما في الخارج لكل من رآهما وأنهما سيبقيان في تمام الوفاق مادامت الحياة . والحقيقة أنهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ قد يتفقان زمناً

وقل عن فساد الشبان : بقي على الشاب أمر واحد يخشى عاقبته من ارتكاب الموبقات وهو العدوى من المرض المشهور . غير أن الحكومة التي تهتم بصحة رعاياها لم تدع مجالا للخوف فانيا بهمة فائقة تعتني اعتناء تاماً بالمواخير . والاطباء كهنة أصنام العلم يراقبون المومسات لقاء أجور يتقاضونها وهم من جهة أخرى يفتنون للشبان بضرورة الوقاع مراعاة لقانون الصحة . فهم على ذلك يرتبون سير الفحش ترتيباً مدققاً ويضبطون دوائره ضبطاً محكما .

ليت الحكومة التي تهتم اهتماماً عظيما بإزالة الزهري معالجة تستعمل جزءاً من مائة من ذلك الاهتمام في ازالة المومسات فيصبح المرض اذ ذاك في خبر كان. وقل عن حفلات الرقص : يجري بيننا وتحت نظرنا من الأمور السافلة ما لا طاقة لذي ناموس وشرف على احتماله . يزورنا رجل لا نجهل من سيرته شيئاً فنستقبله أحسن استقبال وعندما يدخل قاعة الضيوف يجالس أختي أو ابنتي أو قريبتي حيث يتركني وشأني أو اتركه وشأنه . وربما اعرف من سلوكه وتصرفاته ما اعرف . فكان يلزم والحالة هذه أن أتقدم اليه عند قدومه وأتنحى به جانباً وأقول له همساً : أني ياصاح أعرف أحوالك ، وأين تصرف لياليك . ومع من . فليس لك عندنا مكان لان فتياتنا طاهرات . هكذا كان ينبغي أن يفعل كل واحد منا ولكننا نجري على العكس مما تقدم . فاذا اجتمعنا مع هذا الرجل في ليلة راقصة . كان له أن يرقص مع اختي أو ابنتي ويعانقها ويخاصرها ، نراه بأعيننا ونشاهد حركاتهما معاً غدواً ورواحاً وميلا واهتزازاً ، ولا نشمئز منه نفوسنا . بل نتساهل اذا كان حراً لنسعى في تزويجه باحدى بناتنا . ولو كان أثر المرض بادياً عليه

وألف تولستوي كتباً عديدة نقلت الى جميع اللغات الحية وصادفت رواجاً

مدهشاً وقد عرف كثيرون من الشرقيين قدره فأرسل اليه نابغة مصر المرحوم الامام الاستاذ محمد عبده خطاباً يشكره فيه على آثاره العلمية

ورثاه أمير الشعراء سعادة احمد شوقي بك بقصيدة عامرة وحذا حذوه حافظ بك ابراهيم فرثاه بمرثاة مازال صداها يرن في الآذان ورثاه كذلك حضرة الشاعر الناثر أديب فلسطين الكبير اسعاف بك النشاشيبي بمرثاة غراء كان لها شديد الوقع في النفوس . هذا ما أردت سرده على مسامعكم من سيرة ذلك الفيلسوف العظيم وقد راعيت الايجاز خوفاً من الملل والسلام عليكم

(الاخاء) وكان قدمنا الى الجمهور حضرة الكاتب الاديب الاستاذ خليل افندي بيدس بكلمات هو أحق بها منا وقام بعد انهائنا المحاضرة وأطرف الجمهور بملح ونوادر عن الفيلسوف كان لها الوقع الحسن في النفوس

صفحة من التاريخ القديم

(بقلم حضرة الكاتب الأديب صاحب التوقيع)

ان آباءنا لم يروا السيارة التي تقلنا اليوم وتقطع بنا الوهاد والجبال والسهول في لحظة عين ولم يحلموا بوجودها قط وقليلون هم الذين رأوها في وقتنا الحاضر

وعاش الاجداد لا يعرفون أسرار الكهربائية والهاتف وغيرها مما أوجدته المدنية الحاضرة وتمنى أسلاف السلف البعيد أن يركبوا عربات الزحف البسيطة التي تجرها الكلاب فوق الجليد والثلوج في الاصقاع الباردة

وطوى الموت الكثير ممن لم يروا القطار وان ما فات الاقدمين من الاختراعات والاكتشافات الحديثة لم يظهر دفعة واحدة ولا في وقت واحد بل أوجدته الحاجة بالتدريج فكان التقدم في مراقي العمران درجة فدرجة ولم يكن الانسان الاول قادراً على ايجاد عربة لأنه لم يكن قد عرف المعادن وجهل أمر تذليل الخيل وترويضها

ولما لم يكن من مناجر أواتئذ فقد عدم الجدود معرفة صنع المراكب وبناء السفن البحرية ولم توجد كذلك الآلات لقطع الحجارة فظل الانسان الاول دهوراً يأوي